

اليابان والجامعة الاسيوية

مبدأ مونرو اسيوى

للاستاذ محمد عبد الله عنان

منذ أسبوعين طلعت اليابان على العالم بتصريح في منتهى الاهمية والخطورة. خلاصته: «ارفعوا ايديكم عن الصين»، وهو بعبارة أخرى إنذار من اليابان الى اوربا وامريكا بانها أصبحت تعتبر من واجبها أن تحمي الصين من كل محاولة جديدة اوربية او امريكية في سبيل الفتح أو الاستعمار الاقتصادي، ومن حقها أن تستأثر بالتوسع السياسى أو الاقتصادي في أنحاء الصين الشاسعة. ولا تخفى اليابان أنها جادة في انذارها، وانها على أهبة لتأييده وتنفيذه بالقوة المادية، وفي نفس الوقت الذى تلقى فيه اليابان بهذا الانذار، نراها تقرر اعتمادات حرية ضخمة لتقوية اسطولها الجوى، وتقوم بعدة مظاهرات عسكرية أخرى.

وقد أثار هذا التصريح الجرى في جميع دوائر السياسة العليا دهشة عظيمة، ولا سيما في الدول ذات النفوذ والمصالح في الصين مثل بريطانيا العظمى وامريكا وروسيا وفرنسا وإيطاليا. ولم تضع حتى الآن موقف هذه الدول ازاء تلك الخطوة الجديدة التي تتخذها اليابان للحد من النفوذ الغربى في الصين. ولكن اولئك الذين ينتبهون تصرفات السياسة اليابانية في الصين في الاعوام الثلاثة الأخيرة، يدركون ان هذه الخطوة انما هي نتيجة طبيعية لهذه السياسة التي فازت منذ عامين بالاستيلاء على منشوريا ووضعتها تحت الحماية اليابانية، والتي فازت تتفام في سبيل التوسع في الثغور والاراضى الصينية الشمالية والوسطى. واليابان تتخذ خطواتها وشئون السياسة الدولية في منتهى الاضطراب والتعقيد، والدول العظمى كلها مشغولة بمشاكلها الداخلية والخارجية السياسية والاقتصادية، ومن الصعب عليها ان تتفاهم او تتفق بسرعة على اتخاذ خطة او سياسة مشتركة ضد هذه السياسة اليابانية الجديدة التي تهدد نفوذها ومصالحها في الصين.

والنظرية اليابانية في مقاومة التوسع الغربى في الصين ترجع الى فكرة أم وأبعد انرا هي فكرة الجامعة الاسيوية، وشعارها «آسيا للاسيويين». وقد قويت هذه الفكرة بعد الحرب، حينما اشتد تنافس الدول الغربية على التوسع في الصين واستطاعت روسيا السوفيتية وبريطانيا العظمى وأمريكا أن تتدخل في شئون الصين تدخلا قويا مباشراً، وأن تبسط كل نفوذها على مناطق واسعة في الصين، وحينما عمدت الدول في كل مناسبة وفرصة إلى ارسال أساطيلها إلى المياه الصينية بحجة حماية مصالحها؛ ولما كان موقع اليابان الجغرافى في شرق الصين، مشرقة على تلك المياه الصينية التي تغزوها الدول كلها شامت، وكانت تبسط حبايتها ونفوذها على مساحات واسعة في الصين، في كوريا، ومنشوريا وشانشى، فقد كانت السياسة اليابانية تنظر دائماً إلى حركات الدول في الصين بمنتهى التوجس والريب، وكانت تلتس السبل دائماً لمقاومة الاستعمار الاوروبى والأمريكى. وكانت حركة الجامعة الاسيوية «ترداد نشاطا وقوة»، وخصوصا كلما اشتدت الهيمنة في اوربا وأمريكا بالتحذير من «الخطر الأصفر» أو بعبارة أخرى من نهوض الأمم الاسيوية. وقد عقد أول مؤتمر رسمى للجامعة الاسيوية في ثغر ناجازاكي في صيف سنة ١٩٢٦ وشهد مندوبون من اليابان والصين والهند وسيام وكوريا والفلبين، واستمرت السياسة اليابانية ترعى هذه الحركة وتنفذها مدى الاعوام الاخيرة، وقد عقد في فبراير الماضى في دايرين تحت رعاية الحكومة اليابانية مؤتمر «لشعوب الاسيوية» شهد مندوبون من الصين واليابان والهند وأفغانستان وسيام وبلاد الملايو وغيرها من البلاد الاسيوية. وأصدرت فيه قرارات بوجوب اتحاد الشعوب الاسيوية على العمل في سبيل مصالحها المشتركة الجنسية وانسياسة وتحريرها من كل تدخل أجنبى، وسيدعى مؤتمر دورى للجامعة الاسيوية. وربما كانت اليابان ترمى من وراء هذه الحركة إلى إنشاء عصبة أمم اسيوية لتأسس غايات الجامعة الاسيوية.

مبدأ مونرو اسيوى

ولهذا الانذار الذى تقدم به اليابان الى الدول الغربية حقيقة مزدوجة: فهو يعنى أولاً ان اليابان ستقاوم منذ الآن فصاعداً كل محاولة

الايجابى الجديد لمبدأ مونرو في عدة حوادث معاصرة مثل تدخلها في حوادث نيكارا جوا ، واحتلال بعض أراضيها ، وارغامها بناما على عقد معاهدة تعتبر شبه حايه ، ثم تدخلها أخيراً في حوادث كوبا . وهذا هو نفس مايعنيه التصريح اليابانى من ناحيته الايجابية فاليابان ترى من حقها دون غيرها من الدول أن تستأثر بالتوسع في التمتع والنفوذ في الصين

وقد بدأت اليابان فعلاً بتطبيق هذه السياسة منذ ثلاثة أعوام فوضعت خططها للاستيلاء على منشوريا وتذرعت لذلك الفتح باعتداء العصابات الصينية على المنطقة اليابانية والسكة الحديدية الشرقية التي تضع يدها عليها واضطرارها الى حماية المصالح اليابانية والرعايا اليابانيين من ذلك الاعتداء الذي عجزت عن قمع السلطات الصينية . وحوادث فتح اليابان لمنشوريا مازالت ماثلة في الاذهان فلما بحاجة الى تفصيلها . غير أننا نذكر في هذا المقام فقط أن اليابان أبدت منذ البداية عزمها على احتلال منشوريا وامتلاكها فعلاً ، ولم تحفل بتدخل عصبة الامم تلبية لنداء الصين ، ولم تقف لحظة عند أى القرارات التي أصدرتها العصبة لحسم النزاع كانداب لجنة للتحقيق ، والتوصية بوقف القتال ، واعادة الحالة الى ماكانت عليه ؛ بل لبثت أثناء اشتغال العصبة بهذه الازمة الخطيرة ماضية في غزو منشوريا وافتتاحها حتى آتمت خططها العسكرية ، واستخلصت اقليم منشوريا كله ، ثم انتهت بأن ضاقت ذرعاً من تدخل عصبة الامم ، فانسحبت منها لتكون حرة مطلقاً البد والتصرف . ولم تقف اليابان عند افتتاح منشوريا بل هاجمت أثناء ذلك شنغهاى أعظم الثغور الصينية بحجة الاعتداء على بعض رعاياها واحتله وكادت تنفذ إلى الداخل لولا ما أبدته الحكومة الوطنية الصينية من مقاومة شديدة وما أُنذرت به الدول من التدخل ؛ ثم عادت فغزت اقليم شينجى شمال بكين ، واحتلت عدة من قواعده واجتازت السور الكبير . كل ذلك لترغم الصين على الاعتراف بمركزها في منشوريا . واتمت اليابان بأن جعلت منشوريا دولة جديدة باسم دولة « منشوكيو » ، وأقامت عليها هنرى بونى امبراطور الصين المخلوع ، أولاً رئيساً للجمهورية منشوكيو ثم امبراطوراً لها ، وتم بذلك استيلاء اليابان على أعظم الاقاليم الصينية الشمالية وأغناها ، فاذا ذكرنا أن اليابان تملك من أراضي الصين شبه جزيرة كوريا وفرنسا تشين وما اليه ، وبرت أرثر وتسنج تاو ، وتحتل مناطق

تقوم بها الدول الغربية في سبيل التوسع في الصين ، وثانياً أن اليابان ستكون مطلقاً اليد في الصين تحقق فيها ما شاءت من خطط التوسع والنفوذ . وللناحية الاولى سابقة تاريخية خطيرة في السياسة الدولية هي مبدأ الرئيس مونرو (رئيس جمهورية الولايات المتحدة) ، الذي وضع منذ سنة ١٨٢٣ ليكون شعاراً لسياسة امريكا الخارجية ؛ واليك نص هذا التصريح الشهير الذي تطبقه السياسة الامريكية منذ أكثر من قرن وذلك بعد الديباجة :

« إن القارتين الأمريكيتين بحكم حالة التحرير التي احرزتاها والتي تحتفظان بها يجب ألا تعتبر منذ الآن فصاعداً قابلتين للاستعمار من جانب اية دولة أوربية ، وعلى ذلك فانا نعتبر في المستقبل أى محاولة من جانب الدول الاوربية لسيطرتها السياسية على اية ناحية من نواحي هاتين القارتين خطراً على سلامتنا وسلامنا . نحن لم نعرض لاي مستعمرة أو ملك قائم فيها للدول الاوربية ولن تعرض له ، ولكننا بالنسبة للحكومات التي اعلنت استقلالها وحافظت عليه واعترفنا نحن به كحق ذي اساس عادل ، لانستطيع أن نعتبر أى تغيير يرمى الى ارهاقها أو التحكم في مصايرها الا بأنه ميل عدائى نحو الولايات المتحدة . ذلك إنه يستحيل ان تبسط الدول المتحالفة نظامها السياسى في أى بقعة من هذه القارة دون تهديد سلامنا وسعادتنا . كذلك لا يستطيع انسان أن يعتد أن اخواننا في الجنوب اذا تركوا وشأنهم قد يقبلون هذه السياسة مختارين ، ومن ثم كان من المستحيل ان ننظر الى هذا التدخل في ذرة من التهاون والاعضاء »

ويمكن أن نلخص مبدأ مونرو في كلمتين : « امريكا للامريكيين ، أو « اتركوا امريكا » كما نستطيع ان نلخص الانذار اليابانى في كلمتين « آسيا للاسيويين » أو « اتركوا آسيا » مع هذا الفارق ، وهو أن اليابان تحدد بتصرييحها منطقة معينة من آسيا هي الصين ، أو الشرق الاقصى بصفة عامة ، وقد فهم مبدأ مونرو في امريكا وطبق خلال قرن من الناحية السلبية فقط . أعني من ناحية سائمة التدخل الاوربى ؛ ولكن السياسة الامريكية وضعت في الاعوام الاحيرة تفسيراً جديداً لمبدأ مونرو ، وهو أنه الى جانب حق امريكا في قمع أى تدخل أوربى ، يحق لامريكا ، وامريكا وحدها — أن تحتل اية بقعة من القارة الامريكية متى رأت ذلك ضرورياً لصون سلامها ومصالحها ، وطبقت السياسة الامريكية ذلك التفسير

كبيرة في إقليم شانسي ، استطعنا أن نقدر الى أى حد بلغت اليابان في توسعها في الصين .

موقف الدول

وقد قلنا إن موقف الدول إزاء السياسة اليابانية الجديدة لم يتضح بعد ، ولم يتخذ بعد صبغة رسمية . ولكن الذى لا ريب فيه هو أن الدول التى لها في مياه الشرق الأقصى وفي الصين مصالح عظيمة مثل أمريكا وبريطانيا العظمى ، وروسيا وفرنسا ، ستقاوم هذه السياسة أشد مقاومة ، وليس بعيداً أن تلجأ الى الوسائل العنيفة اذا هددت أملاكها أو مصالحها ، وكما أن اليابان تقرن انذارها بالمظاهرات العسكرية وتقرير الاعتمادات الحربية الجديدة ، فكذلك نرى انكساراً تقوم بمظاهرة بحرية في نهر ستغافورة ، ويعقد أمراء البحر الانكليز هناك اجتماعاً خطيراً للنظر في تعجيل الاعمال والاجراءات الخاصة ببناء قاعدة ستغافورة البحرية التى ستكون أعظم وأقوى قاعدة بحرية في الشرق الأقصى ، ونرى أمريكا تقرر اعتمادات مالية ضخمة لبناء سفن جديدة ، وينتقل الاسطول الأمريكى من مياه الاطلانتيك ويجوز قناة بناما الى المحيط الهادى في أقل من يومين قايماً بمظاهرة بحرية كبرى . وتحتج الدول ذات الشأن على لسان صحفها من الوجهة الدولية بالمعاهدات المعقودة بين اليابان والدول بشأن الصين ، وأخصها وأحدثها معاهدة الدول التسع التى عقدت على يد مؤتمر واشنطن سنة ١٩٢٢ بين الولايات المتحدة (أمريكا) وبريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا واليابان والصين وبلجيكا وهولندا والبرتغال ، وتنص هذه المعاهدة على احترام سيادة الصين واستقلالها ووحدتها الادارية والاقليمية ، وعلى معاودتها على النهوض والتقدم بكل الوسائل ، واستعمال الدول الموقعة لنفوذها في تأييد مبدأ الفرص المتساوية في النشاط التجارى والصناعى في الصين لجميع الأمم ، وعلى عدم انتهاك ظروف الصين للحصول على امتيازات خاصة ، ومعنى ذلك أن اليابان ليست حرة في أن تحتل في الصين مناطق جديدة ، أو تبسط نفوذها على مناطق جديدة ، وليست حرة بالاختصاص في أن تسأثر وحدها بتنفيذ سياسة التوسع والاستعمار في الصين ؛ هذا الا اذا كانت تعتبر المعاهدات الدولية قصاصات لا قيمة لها .

وهناك غير هذه الدول الموقعة لمعاهدة واشنطن ، روسيا السوفيتية ؛ وهى من أعظم الدول مصالحاً في شمال الصين ، وأشدّها اهتماماً بسياسة اليابانية ، وروسيا تجاور اليابان في منشوريا ،

وتتشارك معها في امتلاك السكة الحديدية الصينية الشرقية ، وفي امتلاك جزيرة سفالين ، وتصطدم معها في شئون ومصالح كثيرة وقد ساءت علائق اليابان وروسيا في العهد الأخير بسبب استيلاء اليابان على منشوريا وانتزاعها القسم الروسى من السكة الحديدية الشرقية ، وتهددها بذلك نفوذ روسيا في منغوليا ، وقد كان لروسيا فوق ذلك في الصين الوسطى والجنوبية نفوذ عظيم منذ أعوام ، وكانت اليابان من أنشط الدول لمحاربتها والقضاء عليه ، والخصومة الروسية اليابانية قديمة في الشرق الأقصى ، وترجع بالاختصاص الى حرب سنة ١٩٠٤ التى هزمت فيها روسيا امام اليابان وفقدت بورت آرثر ثغرها الممتاز في الصين ؛ وهى اليوم أشد ماتكون اضطراباً . ولا تخفى حكومة موسكو انزعاجها من السياسة اليابانية الجديدة ، واستعدادها لمقاومتها وحماية النفوذ والمصالح الروسية في الشرق الأقصى بكل ماوسعت .

موقف الصين

ثم هناك الصين ، وهى المقصودة بتطبيق السياسة اليابانية الجديدة . وقد لبثت الصين مسرحاً للفتن والحرب الاهلية زهاء ربع قرن ، والدول الغربية أثناء ذلك تعمل على انتهاز الفرص لتوسيع نفوذها ومصالحها ، واليابان تجارياً في انتهاز الفرص . فلما اشتد التنافس بين الدول على استقلال الحوادث الصينية ، عقدت فيما بينها معاهدة واشنطون سنة ١٩٢٢ (معاهدة الدول التسع) لكى تضع حداً لهذا التنافس أو بعبارة أخرى لكى تنظمه ، وقطعت الصين بعد ذلك ستة أعوام أخرى في غمار من الحروب الاهلية الطاحنة حتى قامت الحكومة الوطنية أخيراً (حكومة نانكين) لتوحد كلفة الصين الى حدماء ، ولتعمل على صون استقلال الصين والحد من التوسع الاجنبى . وقد بذلت الحكومة الوطنية في هذا السيل جهوداً لا بأس بها ، ولكن اختلاف الزعماء والقادة كان دائماً يشل من هذه الجهود ، ويفتح الباب لدسائس الدول الاجنبية وعداؤها المستتر بصورة وأساليب شتى ، ولذا كان الانذار اليابانى متعلقاً بموقف اليابان فقط في وجه المطامع الاجنبية في الصين ، لما كان للصين كبير اعتراض عليه ؛ ولكن اليابان لا تقف كما قدما عند هذه الناحية السلبية من سياستها الجديدة ، وانما تقرنها بادعاء حق الاستئثار بالتوسع في الصين ، وتقوم بتنفيذ هذه السياسة بطريقة فعلية منظمة منذ ثلاثة أعوام ، اعنى منذ غزوها لمنشوريا ، ومعنى ذلك